الأغراض البلاغية في التشبيهات النبوية من الأحاديث الصحيحة

Fatkhul Ulum

Universitas Negeri Makassar
fatkhululum@unm.ac.id

مستخلص البحث: ويهدف هذا البحث إلى كشف أغراض التشبيه التي تتضمن في أحاديث النبي ﷺ الصحيحة، مع إظهار فصاحة لسانه، وروعة تعبيره، والكشف عن أسراره. والأحاديث التي هي موضوع البحث مأخوذة من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. وهذا البحث يعتبر البحث المكتبي الذي يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي.

ومن نتائج هذا البحث أن التشبيه في الأحاديث النبوية تحتوي على معظم أغراض التشبيه في علم البلاغة؛ وهي بيان إمكان وجود المشبه، وبيان حاله، وتقرير حاله، وبيان مقداره، وتحسين المشبه وتقبيحه.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، الحديث, البلاغة

Abstrak : Penelitian ini bertujuan untuk mengungkap maksud dan tujuan dari gaya bahasa *al-Tasybīh (agrād al-Tasybīh*) yang terkandung didalam hadis-hadis nabi ﷺ yang sahih, serta menonjolkan keindahan bahasa, kefasihannya dan untuk mengetahui rahasia yang terkandung didalam setiap ungkapannya. Hadis-hadis yang menjadi Obyek didalam penelitian ini diambil dari kitab *al-Lukluk wa al-Marjān fīmā ittafaqa 'alaihi al-Syaikhan.*

Penelitian ini merupakan penelitian kepustakaan (*dirasah maktabiyah*) dengan pendekatan deskriptif analitis (*al-Manhaj al-Washfī al-Tahlilī*).

Hasil dari penelitian ini, bahwa gaya bahasa *al-Tasybīh* didalam hadis-hadis nabi ﷺ mencakup sebagian besar tujuan- tujuan *al-Tasybīh* di dalam ilmu *al-Balāgah*; yaitu pernyataan tentang kemungkinan keberadaan *musyabbah*, pernyataan tentang keadaan *musyabbah*, penegasan akan keadaan *musyabbah*, pernyataan akan jumlahnya, dan pernyataan untuk memperindah *musyabbah* atau memburukkannya.

Kata kunci: *Tasybīh, Hadiṡ, Balāgah*

خلفية البحث

من أساليب النبي ﷺ في حديثه هو التشبيه الذي له أسلوب جميل رائع له قدرة على التأثير والاقناع وإيصال المعنى في أوضح صورة وأجملها بألفاظ قليلة بعيدة عن الإطناب والتطويل. وهذا يدل على فصاحة النبي ﷺ، وهو يقول عن نفسه : "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد".[1] ولم يكن هذا افتخارا منه صلى الله عليه وسلم، وإنما كان تقريرا لحقيقة ثابتة، وذلك لأسباب منها: أن النبي ﷺ ولد في قريش، وقريش أفصح القبائل العربية، ثم عاش في السنوات الأولى من عمره في قبيلة بني سعد، قضى في ربوعها خمس سنوات من بعد ولادته مباشرة حين صحبته حليمة السعدية لترضعه هناك. وبنو سعد من وسط الجزيرة العربية، حيث كانت في مأمن من الاختلاط بالشعوب التي كانت تسكن في أطراف الجزيرة، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم حياته الأولى بينهم، فتربى على الفصاحة، وشب عليها، وظهرت آثار هذه التربية وتلك النشأة في حياته.

والسبب الثاني كونه صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى قلبه نزل القرآن العظيم، وقد رباه رب العالمين، وقد تهيأ للغة قريش قبل الإسلام عوامل الصفاء والنقاء والفصاحة مما جعلها جديرة بأن يكون معجزة نبي الله محمدصلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم فكان كلام الله هو معجزة نبيه لقوم هو أفصح الناس لغة وكلاماً. فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقرآن يتلى بين يدي أهل قريش فأذهلهم في لغته وبلاغته ورونقه.

والنبي صلى الله عليه وسلم مبلغ لرسالة الخالق عز وجل إلى الناس كافة، قوله، وفعله، وتقريراته، وخُلقه، وما أضيف إليه سنة يقتدى بها إما واجبا أو مستحبا. وهذه السنة النبوية هي مفسرة للقرآن تبين مجمله، وتقيد مطلقه وتخصص عامه، وفصل أحكامه وتوضح مشكله، فمن الفرائض والأحكام ما جاء في القرآن مجملة نصوصه، كالصلاة والزكاة والحج، فلم يذكر القرآن هيئتها ولا كيفيتها ولا تفاصيلها فبينتها السنة القولية أوالفعلية فبين في الصلاة عددها وكيفيتها وجميع ما يتعلق بها وفي الزكاة أنواع ما تجب فيه الزكاة، ومقدار الواجب فيها وما يتصل بذلك، وفي الحج أحكامه وأفعاله ومناسكه وكيفيته.

ومما يعين المسلم على فهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهما صحيحا هو معرفة الأساليب المستعملة في أحاديث النبي ﷺ ثم معرفة أغراض من كل أسلوب، كأسلوب الاستفهام والنداء والخبر والإنشاء وغير ذلك. وفي هذا البحث سيركز الباحث أغراض التشبيه في الأحاديث النبوية الصحيحة.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي فالمنهج التحليلي هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكا أو تركيبا أو تقويما. وأما المنهج الوصفي هو منهج يقوم على استقراء المواد العلمية، التي تخدم إشكالا ما، وعرضها عرضا مرتبا ترتيبا منهجيا.

وأما طريقة جمع المواد ومعالجتها، ستقوم وفق ما يلي:

[1] فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي، الميسر في شرح مصابيح السنة، التحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ج. 1، (ط. 2، د. م.، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1429 هـ / 2008 هـ)، ص. 322.

1. اختيار الأحاديث موضع الدراسة وفق الضوابط الآتية:
   - اختيار الأحاديث التي ورد فيها التشبيه على لسان الرسول ﷺ (الحديث القولي)
   - تخريج الأحاديث وتوثيقها كما ورد في كتاب اللؤلؤ والمرجان.
2. شرح الأحاديث موضع الدراسة بالاعتماد على كتب الشروح مع الضوابط الآتية:
   - الاعتماد في شرح الأحاديث على كتب شروح المتقدمين والمتأخرين من علماء الأحاديث.
   - شرح الألفاظ الغريبة التي وردت في الحديث معتمدا على المعاجم اللغوية وكتب الشروح.
   - عرض المعنى الإجمالي للحديث.
   - بيان أغراض التشبيه من الحديث النبوي.

المبحث الأول: تعريف أغراض التشبيه:

تعريف كلمة "أغراض" لغة: أغراض جمع غرض وهو الهدف الَّذِي يرْمى إِلَيْهِ والبغية وَالْحَاجة وَالْقَصْد يُقَال فهمت غرضك: قصدك،[2] مثل سَبَب و أَسْبَاب. قال ابن منظور: والغرض هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه، [3] ومنه قول النبي ﷺ: (لا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)[4]. أي هدفا.

تعريف التشبيه لغة: التمثيل. والتشبيه اصطلاحا: تمثيل شيء بشيء آخر في صفة أو صفات مشتركة بينهما بإحدى أدوات التشبيه المعروفة مذكورة أو محذوفة.[5]

وأغراض التشبيه هو الأسباب والدواعي التي تحمل المتكلم على عقد التشبيه، أو بمعنى آخر الغاية التي يرمي إليها البليغ بتشبيهه، ويقصد إلى تحقيقها، أو الفائدة التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع باستخدام الأسلوب التشبيهي.

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ مبعوث للعرب خاصة، وللعالمين عامة، وكانت أمة العرب يتباهى أبناؤها بالبيان، ويتفاخرون بالبلاغة، لذا فمن الضروري أن يكون سيدنا محمد ﷺ أبين قومه وأفصحهم. ومن الطبيعي أن تكون تلك صفة البلاغة النبوية الفائقة، ذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أمين الوحي، وترجمان القرآن الكريم، وصدق الله العظيم، القائل: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44) إلى غير ذلك من الآيات التي تنطق بمهمة الرسول ﷺ في الإبلاغ والتبيين والهداية، وإذا علم أن هذا التبيين كان لقوم وصلوا القمة في الفصاحة والبلاغة والبيان، فلا بد أن يكون الذي يتولى هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بالحجة، والبرهان والمنطق هو أشدهم فصاحة، وأقواهم بلاغة وحجة، بما استخدمه من أساليب فنية بلاغية متعددة للإقناع والإفهام والتفهيم، ومن هذه الأساليب البيانية الفائقة التي استخدمها الرسول الكريم ﷺ في الدعوة إلى الله، وتبيين الأحكام الشرعية، والأوامر الدينية، والنواهي الشرعية، والحكم النبوية أسلوب التشبيه الذي يتضمن فيه أسرارا وأغراضا منه صلى الله عليه وسلم.

---

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج. 2، (القاهرة: دار الدعوة) ج. 2، ص. 650

[3] لسان العرب: ج. 7، ص. 193

[4] رواه مسلم، صحيح مسلم، ج. 3، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ص. 1549، رقم الحديث: 1957.

[5] البلاغة، سلسلة تعليم اللغة العربية، للمستوى الرابع، ص. 129

والغرض من التشبيه يكون في الغالب عائدا إلى المشبه، وذلك أن المتكلم إنما يعمد إلى الفن لبيان حال المشبه، أو بيان مقدار حاله من القوة والضعف والزيادة والنقصان، أو تقوية الشأن، أو تقرير حاله في نفس السامع، أو إبرازه في معرض التزيين، أو التشويه، أو غير ذلك من الأغراض التي تحتفل بها الكتب المصنفة في البلاغة قديما وحديثا.

وهناك أيضًا أغراض للتشبيه يعود الغرض فيها على المشبه به، من ذلك التشبيه المقلوب الذي يُجعل فيه ما هو الأصل في وجه الشبه مشبهًا، وما هو الفرع مشبهًا به، فهو يقوم أساسًا على الفرد والتخييل والادعاء، بجعل ما هو فرع في وجه الشبه أصلًا فيه، وما هو أصل فرعًا؛ قصدًا إلى المبالغة في ثبوت وجه الشبه للفرع الذي صار أصلًا، ولذا فإن الغرض العائد على المشبه به في التشبيه المقلوب هو في الواقع عائد على المشبه؛ لأن المشبه به كان في الأصل مشبهًا قبل أن يُقلب التشبيه، وبالمثال يتضح المقال، ففي قول ابن وهيب في مدح الخليفة المأمون:

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح[6]

الشاعر جعل ما هو أصل في الضياء -وهو الصباح- مشبهًا، وما هو فرع فيه -وهو وجه الخليفة- مشبهًا به؛ قصدًا إلى المبالغة في إعلاء شأن المأمون، وتأكيد مدحه بإشراق الوجه.[7]

وبالنظر إلى كثرة التشبيهات النبوية سيتناول الباحث بحثا مركزا على أغراض التشبيه في الأحاديث النبوية الذي يمكن تصنيفها إلى مجموعتين، الأولى الأغراض العائدة إلى المشبه والأخرى الأغراض العائدة إلى المشبه به.

المبحث الثاني: الأغراض العائدة إلى المشبه

أولا : بيان حال المشبه

ويعنى إيضاح صفته، وذلك إذا كانت صفة المشبه مجهولة، وحاله غير معلومة للمخاطب؛ فيقصد المتكلم إلى بيان هذه الصفة، وإلى إيضاح تلك الحالة عن طريق تشبيه الذي وضح فيه هذه الصفة الغريبة، وذلك بغرض إزالة هذه الغرابة.

وهذا الغرض هو أكثر أغراض النبي ﷺ في أحاديثه، لأن وظيفة النبي ﷺ البيان لأمته، قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل : 44)، أي يبين للناس عامة عربهم وأعجمهم عن القرآن، والإسلام، والأحكام، والحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، والأمور الغيبية إلى غير ذلك من الأمور الدينية و الدنيوية.

ومثال ذلك قوله ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً).[8]

---

[6] أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، التحقيق : سمير جابر ج، 19، (ط. 2؛ بيروت: دار الفكر، د. ت)، ص. 95.

[7] انظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، (د. ط؛ بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1405 هـ / 1982م)، ص. 98.

	المشبه	أداة الشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
1	أول زمرة يدخلون الجنة	محذوفة	صورة القمر ليلة بدر	الإضاءة والجمال والنقاء	بيان حال المشبه وهم زمرة تدخل الجنة
2	الذين يلونهم في دخول الجنة	محذوفة	كوكب دري	الإضاءة	بيان حال المشبه وهم زمرة تدخل الجنة

وغرض هذا التشبيه هو بيان حال المشبه وهو (أول زمرة يدخلون الجنة)، أراد النبي ﷺ أن يبين لأصحابه صفات أول زمرة يدخلون الجنة، وهم الشهداء، والصالحون المؤمنون المتقون، لقد فضلهم الله عز وجل على سائر العباد لكونهم أول طائفة يدخلون الجنة، وهم السابقون الأولون في حصول الفضل العظيم والنعيم المقيم من عند ربهم الكريم. وصفات هولاء المؤمنين مجهولة لدي السامعين، فبينها النبي ﷺ وسلك مسلك التشبيه لتقريب صورتهم يوم القيامة، فشبه وجوههم بالقمر ليلة البدر في قوة الإضاءة والجمال والنقاء وهؤلاء عددهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

وهذه أول زمرة وهي أفضل الزمر وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أول أهل الجنة دخولا هم هذه الأمة ثم الذين يلونهم على ألمع كوكب دري في السماء يعني مثل أضواء نجم في السماء ثم الذين يلونهم على حسب مراتبهم وفيه أيضا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون لكنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون لأن جميع فضلاتهم ليست كفضلات أهل الدنيا إنما فضلاتهم تخرج رشحا يعني كالعرق أطيب من ريح المسك وجشاء أطيب من رائحة المسك لأنهم في نعيم مقيم ثم ذكر أيضا أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم وكلها تدل على فضل هذا النعيم.

ثانيا: بيان مقدار حال المشبه

وذلك إذا كانت صفته معلومة للمخاطب، والمجهول هو المقدار في القوة والضعف أو الزيادة والنقصان، فمثلا قوله: سواد هذا الشعر كسواد الليل، وحمرة هذا الخد كحمرة الورد؛ فالمخاطب يدرك من التشبيه هنا مقدار السواد والحمرة، لا نفس الصفة.

ومثاله قول النبي ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)[9]،

المشبه	أداة الشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ	الكاف	تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ	الوضوح والجلي لا شك فيها ولا مشقة	بيان مقدار إمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة

والغرض من هذا التشبيه هو بيان مقدار إمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة، وهذه الرؤية لا تكون إلا في الآخرة وجعلها الله للمؤمنين خاصة، ولكن كيفية الرؤية ومقداره مجهولة عند السامعين، فشبهها النبي ﷺ بأمور معلومة وهي رؤية القمر، فتكون رؤية الله تعالى يوم القيامة كرؤية القمر واضحا جليا لا شك فيها ولا مشقة.

[8] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 884، رقم الحديث: 1805.

[9] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 209، رقم الحديث: 368.

فالمشبه: رؤية الله تعالى، والمشبه به: رؤية القمر، ووجه الشبه: رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقّة ولا اختلاف، فهي رؤية واضحةُ جلية. يقول النووي: وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ولا كيفية الرؤية بكيفية الرؤية.[10]

فمعنى التشبيه فيه أنكم ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة ولا خفاء كما ترون القمر. وهذا من تشبيه المحسوس بالمحسوس، ومن تشبيه المرسل لذكر الأداة وهي "الكاف". أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، أي ليس المعنى أن الله مثل القمر لأن الله ليس كمثله شيء بل هو أعظم وأجل عز وجل وقد قال النبي ﷺ فيما صح عنه (حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِى رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)[11] لكن المراد من المعنى تشبيه الرؤية بالرؤية. وهذه الرؤية معلومة لدي السامعين ولكن كيف الرؤية، وما مقدارها، وهل الرؤية من بعيد أو من قريب، هل يحجبها شيء في رؤيته؟ هذه التساؤلات يريد أن يبينها النبي ﷺ عن طريق التشبيه بيانا واضحا شافيا وقال : (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ).

وهذا بيان لمقدار رؤية المؤمنين بالله تعالى، أي كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة لا يحجبه شيء ولا يمنعه مانع، فكما أننا نرى القمر ليلة البدر رؤية حقيقية ليس فيها اشتباه فإننا سنرى ربنا عز وجل كما نرى هذا القمر رؤية حقيقية بالعين دون اشتباه وهذه الرؤية مختصة بالمؤمنين وأما الكفار فلا يرونه.

ومثال الآخر في قوله ﷺ: (نارُكمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا).[12]

والغرض من هذا التشبيه هو بيان مقدار حال المشبه أي أن صفة نار الدنيا المحرقة معلومة عند الصحابة لتعاملهم بها كثيرا في حياتهم، للتدفئة والإضاءة والطبخ ومعالجة الأمراض وغيرها. ويبقى التساؤل هل النار الآخرة مثل نار الدنيا في قوة الحرارة وصفتها الإحراق؟

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ صفات نار جهنم عن طريق التشبيه لتسهيل فهم الصحابة بهذا الأمر الغيبي، فيقول: (كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا)، أي أن نسبة الطاقة الحرارية الموجودة في نار الدنيا كنسبة جزء إلى سبعين جزءاً من حرارة نار جهنم في الدار الآخرة. فلما سمع ذلك بعض الصحابة قال: إن نار الدنيا كافية في الإحراق، مجزئة في الإيلام، فهي محرقة للجماد، فضلاً عن الأجسام البشرية. " قال ﷺ (إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً) أي أن نار الآخرة تزيد قوة حرارتها عن حرارة نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً، " كلهن مثل حرها " أي كل جزء منها يعادل حرارة نار الدنيا كلها، ولهذا قال ابن عباس: لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها الآدميون لكانت جزءاً من أجزاء نار جهنم.

ثالثا: تقرير حال المشبّه

[10] أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج. 5، ص. 134.

[11] مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج. 1، ص. 161، رقم الحديث: 179.

[12] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 886، رقم الحديث: 1808.

وذلك إذا كان كل من الحال ومقدارها معلومين، وأريد بالتشبيه تأكيد اتصاف المشبه بالصفة، كتشبيه من لا يحصل من سعيه مثلًا على طائل بالراقم على الماء، وبالقابض عليه، وتشبيه الحائر الذي يتخبط في أمره بالتائه في صحراء مظلمة.

ومثاله في تشبيه المؤمنين مع بعضهم بعضا كالجسد، قال النبي ﷺ: (تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى)[13].

المشبه	أداة الشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ،	الكاف	(الْجَسَدِ)، أي بالنسبة إلى جميع أعضائه	محذوف تقديره: فيه التوافق والمشاركة في التعب والراحة، و التعاون بين الأعضاء	بيان عظم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا

حث الإسلام على تحقق التناصح، والتناصر، والتعاضد في المسلمين، حتى يكون المجتمع مجتمع خير، وبركة، يسوده الإخاء والمحبة، ويكون يدا واحدة على أعدائه. وهذه الصفات في المؤمنين معلومة، وجاء شبيهه بالجسد الواحد تقريرا وتأكيدا لهذه الصفات لأن الجسد إذا تألم منه عضو تداعى لهذا العضو سائر جسده أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم وتأثرت جميع الأعضاء بسبب السهر والألم الذي يسري من مركز الإحساس إلى سائر البدن.

رابعا: تزيين المشبّه

ذلك إذا كان المراد مدح المشبه، والترغيب فيه، أو تحسين صورته، مثاله قول النبي ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلاَءِ).

المشبه	أداة الشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
المؤمن	الكاف	الخامة من الزرع	الصبر واللين والثبات	بيان خصال المؤمن من صبر وثبات أمام مصائب الدنيا وإن كثرت

هذا التشبيه يراد منه مدح صفات المؤمن، وتزيين حاله، فشبهه النبي ﷺ بالخامة من الزرع أي العود الضعيف اللين أو القصبة اللينة من حيث أتتها الريح تميله يمينا وشمالا، تصرعها مرة وتعدلها أخرى، حتى تستوي ويكمل نضجها. هذه هي حالة المشبه أي شبه المؤمن في كثرة أمراضه وابتلائه وهمومه وأحزانه بالزرعة الضعيفة في كثرة تأثرها بالرياح، والمؤمن كثير الآلام في بدنه وأهله وماله، وهذه الأمور المكروهة ليست بلاء لهم ولا عذابا ولا عقوبة، وإنما مكفرات لسيئاته ورافعة لدرجاته إذا

[13] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 806 ، رقم الحديث: 1671.

قابل ذلك بصبر وإخلاص، فقد قال النبي ﷺ: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[14]

ومن أمثلته أيضا تحسين صورة الموت بكبش أملح. والإنسان إذا سمع كلمة "الموت" تحضر في ذهنه المعاني الكثيرة المخيفة منها: الانتهاء، والحزن، والمصيبة، والرعب، والوحدة، والخوف، والظلمة، والوحشة إلى غير ذلك من معاني التي تقشعر منه الجلود. فقال النبي ﷺ : (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ) أي الذي فيه بياض وسواد، وهذا الاختيار لهذا اللون فيه جمال ودقة في اختيار الألفاظ، إذ إن اللون الأبيض بما فيه من بهجة وجمال يمثل أهل الجنة، واللون الأسود بما فيه من الغموض وما يحمل من الضلال والخوف يمثل أهل النار والحكمة في الإتيان بالموت في هذه الصورة الإشارة إلى أنهم حصل لهم الفداء كما فدى ولد إبراهيم بالكبش.[15] وفي تشبيه الموت بكبش أملح فيه تحسين لصورة المشبه إلى ما هو محسوس، ومتعارف كثيرا في حياتهم. والموت الذي كان يحمل معاني مخيفة ومرعبة، فأصبح يأتي بمعني الذي يفهمونه ويقلل من هذه المعاني.

خامسا: تقبيح المشبّه وتشويهه

وذلك عند إرادة الذم والتنفير منه، مثاله قول النبي ﷺ محذِّراً المأموم من سبق الإمام، ورفع رأسه قبله في الركوع والسجود: (أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ، أَوْ لاَ يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ).[16]

المشبه	أداة الشبه	المشبه به	وجه الشبه	أغراض التشبيه
(أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ)، أي رأس أو صورة الذي رفع رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ في الصلاة	محذوفة	رأس حمار أو صورته	البلادة والقبح	بيان قبح هذا الفعل والآثار المترتبة عليه

معنى الحديث: كيف تتجرؤون على رفع رؤوسكم من الركوع والسجود قبل رفع الإمام، ألا يخاف أحدكم إذا رفع رأسه قبل إمامه أن يمسخ الله رأسه رأس حمار، إما مسخاً مجازياً، بأن يجعله الله كالحمار في غباوته وبلادته، أو مسخاً حقيقياً، بأن يجعل صورة رأسه على صورة رأس الحمار إما في الآخرة أو في الدنيا، ولا مانع من ذلك، فإن المسخ الجزئي الخاص موجود في هذه الأمّة لما في الحديث عن عائشة τ عن النبي ﷺ أنه قال: (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف).[17]

وقد سلك الرسول ﷺ طريق التشبيه بأوضح صورة وأيسر طريق للتنفير من هذا الفعل والتحذير من التساهل في أمر الصلاة. والمخاطبون يدركون المراد من هذه الصورة البشعة. ومن هنا يتحقق الغرض من التشبيه الوارد في الحديث؛ وهو بيان قبح المشبه وهو مسابقة الإمام في الصلاة في الركوع والسجود وحركات الصلاة الأخرى، والآثار المترتبة عليها وهو أن يجعل صورته صورة حمار أو يجعل رأسه رأس حمار.

---

[14] مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج. 4، ص. 2295، رقم الحديث: 2999.

[15] موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج. 10، ص. 460.

[16] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 164، رقم الحديث:247.

[17] محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج. 4، ص. 479، رقم الحديث: 2185.

ومن ذلك أيضا تشبيه الفاجر والمنافق بالأرزة، قال ﷺ: (وَالْفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ، صَمَّاءَ، مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ). والأرزة: شجرة الصنوبر وهي مشهورة بالطول والغلظ. شبه الفاجر بصورة الأرزة الصُّلبة الصماء، فالريح لا تقصُمها ولا تحركها كالفاجر، لا يبتليه الله تعالى بالفتنة والتمحيص، بل يظل بمنجاة عن الابتلاء والاختبار؛ ليمهله الله عز وجل حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر؛ فيقصمه بشدة مثل شجرة الأرزة، تظل صامدة أمام عواصف الريح، حتى تأتيها عاصفة فتقصمُها مرة واحدة، لأن الله تعالى يملي للفاجر من التيسير في الدنيا، ليزداد عسرًا وشدة في استخراج روحه وهلاكه في الآخرة.

وتتجلى غرض تشبيه صفات الفاجر بالأرزة توبيخا له ووعيدا عليه لفجوره وسوء خلقه، لأن الفاجر عنيف معاند قاسي القلب، لا يلين ولا يتعاطف مع الآخرين، وكلما تعرض للشدة ازداد عنفًا وعنادًا. وأن الله تعالى يملي للفاجر ويمهله، حتى إذا طغى وتجبر أخذه أخذ عزيز مقتدر، وعذبه عذابًا شديدًا يوم تشخص فيه.

سادسا: بيان إمكان وجود المشبه

وذلك عندما يكون المشبه من الأمور الغريبة التي يستبعد حصولها، ويدعى استحالتها، مثاله قول النبي ﷺ: (وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ)، والآخر قوله ﷺ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ). فالأول وهو حديث طويل فيه أن النبي ﷺ حدّث أصحابه عن قصة عروجه إلى السماء في تلك الليلة المباركة، فذكر لهم أمورا كثيرة خارجة عن العادة كمجيء الملائكة وشق صدره ﷺ، وركوب النبي ﷺ دابة بيضاء أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، ذات سرعة غريبة تخطو الخطوة الواحدة فتضعها عند منتهى ما يراه البصر، فهي أسرع من الضوء...إلى غير ذلك من الأمور.

ومما ذكره النبي ﷺ لهم عن سدرة المنتهى فقال (وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ) وهي جرار كبيرة تسع قربتين، (وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ) ولم يتجاوزها أحد سوى النبي ﷺ. فالنبي ﷺ يذكر أمورا لم يرها الصحابة رضوان الله عليهم وهي ثمار سدرة المنتهى وورقها، فجاء بتشبيههما بأمور يعرفونها وهي قلال هجر ليدل على عظمه، وآذان الفيول ليدل على سعته، وهذا تقريب صورة المشبه واستحضارها، و بيان إمكان وجود المشبه لكونه من الأمور الغريبية بالنسبة لهم.

المبحث الثاني: الأغراض العائدة إلى المشبه به

وذلك عند قلب التشبيه الذي يجعل فيه ما هو الأصل في وجه الشبه مشبها وما هو الفرع مشبها به قصدا إلى المبالغة في ثبوت وجه الشبه للفرع الذي صار أصلا، ولذا فإن الغرض العائد على المشبه به في التشبيه المقلوب هو في الواقع عائد على المشبه، لأن المشبه به كان في الأصل مشبها قبل أن يقلب التشبيه.

والغرض من ذلك هو المبالغة في اتصاف المشبه به بوجه الشبه، وإيهام أن الوجه في المشبه به أشهر وأقوى منه في المشبه، وكذلك يكون الغرض العائد على المشبه به في حال ما إذا كان المراد بيان شدة الحاجة إلى المشبه به، كقوله: تشبيه الجائع البدر مثلًا في إشراقه استدارته بالرغيف، رغم أن الأصل أن يُشبه الرغيف بالبدر، لكنه عكس؛ لأن حاجته ماسَّة إلى الرغيف فجعله مشبهًا به.

ووجد الباحث حديثا واحد فقط يتضمن تشبيها مقلوبا، وهو قوله ﷺ: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي (قَالَ عَبْدُ اللهِ): وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا، مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ. والنبي ﷺ كثيرا ما يشبه المعقول بالمحسوس مستخدما وسائل الإيضاح الميسورة في البيئة وأكثر ما يشد انتباههم ويعمق استفادتهم واستيعابهم فيمثل المؤمن في أنه خير لمجتمعه ولنفسه من وجوه كثيرة بالنخلة ويقلب التشبيه المقصود فيشبه النخلة بالمؤمن ليجعل المؤمن أصلا وأقوى في وجه الشبه.

وصفات النخلة معلومة عند الصحابة حينئذ، لأنهم يزرعونها، ويأكلون من ثمارها، ويجدونها حولهم كثيرا، ويعرفون منافعها وكذلك صفات المؤمنين لا تخفى عنهم. فقد جمع في الحديث بين النخلة وما يتعلق بها من الثمار والجريد والليف، والساق ودوامِ الخضرةِ طوال العام، والإيواء إلى ظلها وقاية من الحر وحلاوة الثمر، وبين المسلم وما يصدر عنه من الطاعات وعمل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلاهما يُشبِه الآخر في دوام الانتفاع وعمومه. وتتبين هذه المعاني من خلال التشبيه الذي ثبت هذه المعاني وجلاّها. وجاء هذا التشبيه تأكيدا لحال المشبه وهو مسلم، من كثرة نفعه وطاعته وصبره وغير ذلك من خصال الخير.

نتائج البحث:

كشف هذا البحث أن التشبيهات النبوية من كتاب اللؤلؤ والمرجان تحتوي على جميع أغراض التشبيه من بيان إمكان وجود المشبه، وبيان حال المشبه، وتقرير حاله، وبيان مقداره، وتحسين المشبه وتقبيحه. وقدرة البيان النبوي الكريم على تجسيم المعاني، وتصوير الخواطرالذهنية، خاصة فيما يتعلق بالغيبيات، حيث تتحول المعاني إلى صور حية وشخوص متحركة، وذلك أدعى لتقرير الفكرة في العقل، واستئناس النفس بها، فما يقع عليه الحس أقوى أثرا وتأكيدا للمعنى. مثاله قوله ﷺ في بيان صفات أول زمرة يدخلون الجنة ومن بعدهم فقال: (إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً). وأيضا، أظهرت الدراسة بُعد صور التشبيه في الكلام النبوي عن الغموض، وهذا طبيعي لأن الغرض من حديث النبي ﷺ هو تبليغ الأمة تعاليم الدين.

المراجع:

Muhammad Ibrāhīm Khalīfah & Ali Akbar Nursidah, '*Dirāsah Ṣuwar Al-Tasybih Fi Al-Kalām Al-Nabawi Al-Syarīf*', Jurnal Jamiah Semnan, Vol.3, No. 9 (2012).

Al-jāhidz, Amār bin bahr. *Al-Bayān Wa Al-Tabyīn*. cet. 1. Beirut: Dār shāb, 1968.

'Abdul Bāqi, Muhammad Fuād, *Al-Lukluk w Al-Marjān Fi Ma Ittafaqa Alaihi Al-Syaikhān*. Kairo: Dār al-hadīs.

Al-Aini, Badruddin. '*Umdah Al-Qāri Syarah Shahīh Al-Bukhāri*. Beirut: Dār Ihya al-Turās al-Arabi.

Al-Aṣfahāni, abu al-Faraj. *Al-Aghāni*. Cet. 2, Beirut: Dār al-Fikr.

Al-Azrāri, taqiyuddin Abū Bakr. *Khazānah Al-Adab Wa Ghāyah Al-Arib*. Cet. 1. Beirut: Makabah al-Hilal, 1987.

Al-Bukhāri, Muhammad bin Ismāil. *Shahih Al-Bukhari*. Cet. 1, Daar Thauq al-Najah.

Al-Ghalayini, Musthafa bin Muhammad salim. *Jami' Al-Duruus Al-ArabiyahNo Title*. Cet. 1, Daar Thauq al-Najah, 1993.

Al-Jauzi, Abu al-Faraj. *Al-Mudhish*. Cet. 2, Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyah.

Al-Nawawi, Abū zakaria. *Syarh Shahīh Muslim*. Cet. 2, Beirut: Dār Ihya al-Turās al-'Arabi, 1392.

Al-Qairawāni, Abū Ishāk ibrāhīm. *Zahru Al-Adab Wa Tsamru Al-Albab*. Cet. 1, Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyah, 1999.

Al-Tsaqāfi, Ahmad. "Tasybīh Fi Ṣahīh Muslim." Umu al-Qurā, 2002.

Al-Zuhaili, Wahbah bin Musthafā. *Al-Tafsīr Al-Munīr Fi Al-Aqīdah Wa Al-Syarīah Wa Al-Manhaj*. Cet. 2, Damaskus.

Atīq, 'Abdul 'Azīs. *Ilmu Al-Bayān*. Beirut: Dār al-Nahḍah, 1982.

Al-Mu'jam al-Wasīt, majma' al-Lughah al-'Arabiyyah. Al-Qāhirah : Dār al-Dakwah.

Al-Thurisyti, Fadhlullah. al-Muyassar fi syarhi Maṣābīh al-Sunnah, 2008.

Ibnu al-Hajar, Abū al-Faḍl. *Fathu Al-Bari*. Beirut: Dār al-Ma'rifah.

Ibnu mandzūr, Jamāluddin abū al-Fadl. *Lisān Al-Arab*. Cet. 3. Beirut: Dār Shadir.

Muslim, ibnu al-Hajjaj. *Ṣahīh Muslim*. Beirut: Dār Ihya al-Turās al-Arabi.

Lasyīn, Mūsa Sahīn. *Fathul Mun'im Syarhu Shahīh Muslim, Cet. 1.* Dār al-Syurūq, 2002.

Sibawaih, 'amr bin usmān. *Al-Kitāb*. Cet. 3. Kairo: Maktabah al-Khaniji, 1988.

Silsilah al-Ta'līm al-Lughah al-Arabiyah. al-Balāghah, al-Mustawa al-Rābi'. Jami'ah al-Imām Muhammad bin Saud al-Islāmiyyah.